

قراءة
في كتاب السيل
عن
أحمد السويلم

الطبعة الأولى ١٩٨٢

قراءة
في كتاب الليل

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٣٩٣٤٨١٤ - ٣٩٣٤٥٧٨

برلينا شروق - لكس : 93091 SHROK UN

بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

برلينا ، داشروق - لكس SHOROK 20175 LE

قراءة كتاب الليل

تأليف
أحمد السويلى

دار الشروق

« بما أتعسنا نحن الشعراء

فقراء إذا صحونا ..

آلهة إذا غفونا »

أبو القاسم الفردوسي

لو!

- لو أملكُ أن أنزعَ
نفسى من أنيابِ الزمنِ الوحشية ..
- لو أملكُ أن تمتدَّ اللحظةُ حتى تصبحَ زمنا ..
أن تمتدَّ الخطوةُ
حتى تصبحَ دربا ..
أن تتوقفَ دوراتُ الأرض
تكفَّ الشمسُ عن السَّعى المحموم
أن تأتيني أيامى القادمةُ - الآن -
أنسجُ منها عمرى
أصنعُ منها قدرى

أجعلُها أرضاً تخصُّبُ

بحراً يأتي بالخير

ينبوعاً للحبِّ المتجددِ في الأعين ..

- لو أملكُ

لو أملك أن أعزفَ لحناً علوياً في أرضٍ عذراء

أن أسمعَ صخرَ الأرضِ تراتيلَ غناء

- لو أملك

لكن القدرَ العاتي يرصُّدني بالعينينِ القاتلتين

يأبى أن ينمو عُشِّي شجراً

أو يصبحَ لحنى عشقاً ممتداً

أو يختصرَ الزمنَ بهذى اللحظة !!

لحظة صمت

- رائعٌ أن تكون على أهبة الحب
ثم يجيئك نَسراً يعانى الظماً ..
- رائع أن تظلَّ سَطوراً من الحُلُم
ثم تصيرُ الحروفُ شفاها
تصيرُ عيوننا
تصيرُ قلوبنا
وتملكُ من موجك المبتدأ ..
- رؤيتي اتسعت في امتداد ذراعي
يالامتدادَ الرؤى .. وانهارَ المدد
وتضيقُ العبارة ..

أين احتمالُ الحروفِ .. وفيم البدد
والذى كان يأسرُنِي في الزمانِ القديم
تجددَ بين يدي .. واتقد ..

.....

- سيدٌ وجعِي .. وعميق
ومفترشٌ لغتي .. طرقاتٍ من الجمر
فيها تسكَّعتُ
فيها كبوتُ
ولكنني الآن أعرفُكم تتقاطعُ في ناظريَّ
المسافاتُ
كم يزحفُ الصمتُ يتركُ في القلبِ نافلةً
في غياب التواريخ .. قافلةً ..

- مدنٌ .. قد تغيب
وأخرى تقومُ جزائر ..
لكنَّ ما نغرسُ الآن ليست كهذي المدائن

- يا أيها اليم .. فُتِّتْ كما شئتَ موجَّك
كلُّ الرذاذ الذي يسقطُ الآن فوق الوجوه
طيورٌ من العشِّق ..

يا أيها اليم .. هات المفاتيح
كلُّ المغاليقِ توشِكُ أن تصدأ الآن
لن تجدَ اليوم من يمنحُ القلبَ .. والعينَ .. والصلوات
استوِ الآن فوق الأكف
حماماً لأحلى الرسائل ...
نحن إليك انتماء
ونحن احتراق ..

ونحن ارتخاءٌ على الموج

- حين غرقنا .. انصهرنا مع المدِّ

لم يجرؤ الخوفُ أن يخنق الماء
لم يجرؤ الصمتُ أن يتمطى مع الليل
كنتَ الأمانَ لنا .. والطيور
وكنتَ الجنونَ .. الفتونَ .. العبير ..

- رائعٌ وجعُ العاشقين

نتطهرُ فيه .. فتنمو نحيلاً يطولُ .. يطول

يشقُّ السماءَ جناحين ..

ورداً هناك .. وتعويذةً في العيونِ هناك

وبينهما الوجهُ يورقُ صَفْصافةً

والمسافاتُ لا تتعدى انفراجهَ كف

وفاصلةُ الأرضِ في القلب ..

- يأيها اليم ..

صوتُ القصيدةِ يبدأ من لحظة الصمت

والنورُ من بقعةِ الظل

كيف تؤرخُ هذا الزمانَ الجديد

ولا تتوخى الحقيقةَ والصدق ..

إنا ظللنا على أهبةِ الحب ..

حتى استوى الحبُّ في القلبِ ساريةً

أيها اليم .. جُدْ باحتوائك

إنا أتيناك من زمنِ المستحيل .

الملكة

- مملكتي العشق .. وأنت التيجانُ الورديةُ .. أنت الشاراتُ ..
الأوسمةُ .. وأنت الملكة ..
- عندكِ ذاكرةُ الماضي تسقطُ .. كي تتجددَ في شطيكِ سطوراً من
ألقٍ .. خطواً ممتداً .. نقشاً .. جمرأً لا يهدأ .. مطراً يغسلُنِي ..
تأتي غيمتهُ من عينيكِ .. يطهرُنِي .. ويعطرُنِي .. ويلقُنِي كلَّ
طقوسِ الحبِ .. ويُفسيحُ لي في الآفاقِ .. فيلقاني مَلَكٌ يحملُنِي
فوق جناحيه من صحراءِ الحيرةِ .. يسألُنِي عن وردتكِ الأولى ..
أنزِعُها من صدري .. تفتحُ في هذا الألقِ العلوي .. أطوفُ به ..
أُتلاشي .. أشعرُ بالِرعدةِ .. أسألُ عنك .. فيأتيني صوتُك عبرَ
الريحِ يُسامِرُنِي .. أعبرُ لحظتها الصخرَ .. البحرَ .. الأسلاكَ

القاتلة .. وكتبَ الموتى الأحياء .. يُعاودُنِي الصوتُ .. فأعبرُ ..
لا توقفني أوجاعُ القدمينِ .. ولا تكسرني الرِعرشةُ .. يقتربُ
الصوتُ .. فأصعدهُ سبباً سبباً .. أغزو الأسوارَ .. ينزلني
صوتُكَ .. أبتلعُ النارَ .. فأحترقُ الكونَ بلا ريحٍ عاتيةٍ حتى
ألقاكِ .. وبين يدي وردتُك الأولى أرشقها في صدركِ ..
- فتحت أبوابُ العمرِ القادمِ بين يديكِ .. وفتحت كلُّ بساتينِ
الورد .. وذقتُ حلاوةَ هذا الشهدِ الناريِّ .. وعافت نفسي كلَّ
بساتينِ الأرضِ الذابلةِ وألصقتُ شفاهي في صدركِ .. فانطلقتُ في
آفاقِ الحلمِ عصافيرُ تشدو .. وتدقُّ طبولَ الفرح .. وتعزفُ أنغاماً
تُشعلُ في القلبِ نحيلاً خصباً .. أنهاراً .. ونقوشاً خالدةً .. وتجيء من
الغيبِ ملائكةُ الله .. فيهرب من ساحتها الشيطانُ .. وتناي
الجنياتُ .. ويأوي الملاحون إلى أرصفةِ البحرِ ..
هذا وقتُ لقائكِ يامولاتي .. في يدكِ عصاكِ القدسيةُ .. تضربُ
قلبَ الماءِ فينشقُّ .. وتهمسُ للعفريتِ ليأتى بالأخبار .. فيرحلُ .
يرحلُ .. يرجعُ مشتعلاً غيظاً .. فتنادين عليَّ .. أجيئك من بين
غبارِ السفرِ .. ومن بين الأزمنةِ الراحلةِ .. ومن بين الوجعِ

المتوقد .. أشدُّو لحنَ الدفءِ .. وأسكنْ عينيكَ .. وأغلقْ هديكَ
على جسدي .. لا أبغى أن أشهد إلا هذا السرَّ المتجدد .. أسترخي
فوق العشبِ الظامئ .. يمتد جِواري نهرُك .. أتفياً ظلَّ نخيلك ..
أنظرُ آفاقَ في عينيكَ الطيبتين ..

— مملكتي أنتِ

وأنتِ الملكةُ — فاتنةٌ — تسقينَ السَّحرَ

وتأوينَ القلبَ .

وتأتينَ بكلِّ الحبِّ ! .

١٨ - ١١ - ١٩٨٨

اليمامة

- ساهرٌ .. لا يقرُّ
والشَّغافُ الذي قيَّدَ الجُرحَ
ضاقَ به .. وانصهر ..
هل تفجَّرَ من نبعِ النهر ..
أم صارَ نافورةً في الحجر ..
- أفتح الآن مملكتي
فترفُ فوقَ يمامة ..
وتحطُّ على كتفي .. تؤدي صلاةَ السَّحرِ
ثم تفتحُ باباً إلى القلبِ
نهرًا إلى الدم ..

صفصافةً لحقولِ الشَّذا .. والسفر ..

— خفقةً .. خفقةً

دثرتني اليمامةُ ..

تُطلق سِرْبَ الحروفِ الذي لم تنله الرياح

تعيدُ القراءةَ في دفترِ العشق ..

أىُّ هذا الغياب الحضور

وأى صدىٌ أستعيد ..

— يقظةً .. يقظةً

تستحثُّ خطاى .. وتختصرُ العمر

تُخمد زوبعةً في السؤال

وتُسكتُ صوتَ الظمأ

— إنه النهر ..

(يمكن أن تنزلَ النهرَ ما شئت)

نهرُك .. لم يجرِ حتى ضربتَ عصاك

على الصخر ..

ياشغفَ القلبَ والعين

أمسى أشيعه الآن
حين هبطتِ على .. تُسرِّين لى ..
وتروين عينيَّ نورا
تهزِّين نخلَ التراتيل ..
- هذا دمي .. دفقةً .. دفقةً ..

ساومتني عليه الجوارحُ
كادت تعتقه في المناكير
هذا دمي ..

حملته البراكينُ جمرا
تلته الرياحُ .. شدا
أسقطته السماءُ كتابا

.....

ضحكت طفلةُ الحبِّ بين ضلوعي :
- إنني أتجددُ فيك

فلا وقت أن تتذكرَ عمرَ الأسي
واقْتفاءَ الزوابعِ ذاكرةَ الوجد

— فجأة .. فجأة ..

نزعني اليمامة من وجع المستحيل
وألقت على القلب ماء الفصول
توحدت .. ذبت بهذا الفناء الجميل
— ساهر .. لا يقر ..

ساحة القلب مملكة أنت فيها الزمان الندي
استريحى على كتفى

اسمعى خفقة الحب تنتفض الآن مثلك ..

تسكن عشا بعيدا عن الأرض

نحن بدأنا الرحيل معا .. سهراً بسهر

واحتكاماً لعينيك

والشعر

والعشق

والسنبلات

وكل الفصول ..

قراءة في كتاب الليل

- ممتلئ شعرا

محتدم .. جمرا

أقتربُ إلى شعلتكِ المتوهجة

فتجذبني ..

تدعوني أن أقبضها ..

أن أعصرها ..

أن أقذفها في الكون

فتضيء الليل .. وتمنحني سحرا ..

- أحيانا ..

تأسرني .. وتقيّدني .. تُلقيني في البحر لعلّ الموجُ

يطفئني زمنا ..

- أحيانا ..

أقبضها .. ألصقها في عيني

أغلق هدبي عليها ..

أعبدُ فيها السرا ..

- عيناكِ تحومان بليل الحب

وتحطآن على وجهي ..

أصلُ عيوني بعيونك

أنزع من عينيك أساها

من قلبك أستلُّ الآها

وأجردُ نفسي من نزوات الأرضِ

ووجعِ الليلِ ..

أخلقُ في ملكوتك نسرا

يبنى مملكةً لك

يقبضُ من نخلةِ دجلة رطبا

يجعله يمتدُّ إليك .. سببا

يختصرُ الزمن
ويغزلُ كلَّ مسافاتِ الأرض
ويصلُ النهرَ بماءِ النيل ..
تطفو في هذا اليم جزائرُ حلمٍ خضراء
أصلحها .. وأقصُ العشبِ المتوحِّشِ إذ ينبتُ فيها
أبني معك عليها كوخاً لاثنين ..
- هل يعرف أحدٌ منا ماذا خلف البين
وأين ..
أين نلاقى القدرَ يداعِبُنَا ويصادقنا
ومتى يُسقط ثمراً في الكفين
ومتى يصفو ألماً في العينين
- هذا ما يملؤني شعرا
ويفتتني جمرا ! .

بغداد

٢٧ - ١١ - ١٩٨٨

لما حررتني الشعر

لا أكتُمكم ..

كان نحجولاً يهربُ من ظله

كان يسيرُ جوارَ الحائطِ ينظرُ في قدميه

حيناً .. يُفَلّت من أعمدةِ النور

وحيناً .. تُدمى رأسه ..

كان يمرُّ على المقهى يسعلُ من أدخنةِ الليل

كان يرى العشاقَ .. يديرُ لهم ظهره

وكانَ صديقِ عند الله ..

نبيُّ يحملُ أسفارَ الحكمة

.....

لا أكتمكم ..
كان شقياً .. حتى طَوَّقَه الشُّعر
وكان أسيراً .. حتى حرَّره الشعر
وكان عيياً .. حتى أنطقه الشعر ..

.....

وانتصب الشعرُ بقلبي شجراً
يثمرُ كلَّ صباح ..
أُحِبُّهُ به .. وكرهْتُ به
وسموتُ به ..

وهبطتُ به بين صعايلكِ العصر
قالت لي مرة :

- غيرِ لونكِ واسترخِ على عرشِ الكلمات
وادخلِ بين أزقتها .. وامرَحْ في الساحات
لكني أسقطتُ العاشقةَ العصريةَ من قائمتي ..
وكتبتُ لها :

دونكِ غيري .. يمتلكُ القدرة

إني أوثرُ أن أحترقَ بجمْرِ الكلمات
وأودّعَ كلَّ المعشوقات
إلا واحدةً تحملُ قنديلي في الطرقات
تطفؤه الريحُ .. فتشعله مرات
ينكسرُ .. فتصلحه مرات ..
انترعت عاشقتي العصريةُ قبضتها القفازية
لكمّني في وجهي ..
صاحت : لن يمنحك الشعرُ جناحَ بعوضة
وعلى أرصفةِ الليل
أجنحةٌ ملقاةٌ .. ما شئتَ تخيّر منها
فتخلقُ فوق البشرِ .. وفوق الأبراج
قلت : وماذا بعد
قالت : لو أنك تُنصتُ لي
لأنفتحت أبوابُ الساحات
وأحاطتك الأوجهُ والزينات
وغدت كلماتك في علب الليل

أحلاماً من ياقوت ..

.....

- لا أكتمكم ..

لما طوّقني الشُّعر

ولما حرّرنى الشعر

ولما أنطقنى الشعر

غير جلدى الأملس .. عصياناً للمألوف

وجراحاً لا تبراُ أبداً

وبجاراً .. عاصفةً من عشق

كيف إذن أمسى عبداً

تتقاذفه السادةُ

والألوان ..

الخطأ

— مرةً ..

غاب عن خاطري الشعر

وظننتُ الشروقَ انطفأ

وسمعتُ صريرَ الحروفِ يزلزلني ..

ويسوقُ إلىّ النبأ ..

— إن عينكَ ليستُ من الصقر

قلبكَ ليس من الحجر

خطوك فوق السفوحِ انكفأ

قلت : ما الذنبُ ذنبي

إني تأبطتُ عصراً من الحزن

عصراً من الفقر
عصراً من الموت
ما الذى يفعلُ الشعرُ لو يُجترى
قيل : لو تصمتُ الآن
إنك فى خيرٍ قد يطولُ .. يطولُ ..
بلا مبتدأ ..

.....

– هل أرى الآن قدرَ الخطأ
(ربما قد أتينا خطأ !)
ربما العجزُ سدَّ علينا الدروب
فغفلنا عن الحب
عن حكمةِ العصر
عن لغةِ الشعر
وعلانا الصدا ..
أىُّ شىء تُرى قد يعيدُ لنا الوجه
أم أن تعويذة .. قد تُبدِّلُ عصراً بعصر

فيجرفنا الموجُ للمبتدأ ..
- ما الذى يتسلَّلُ يروى الظمأ
الصوابُ الذى أثقلته الخطى
أم جنونُ الخطأ ..

٢٨ - ١٠ - ١٩٨٦

ريهام

[في العام السادس عشر]

في طرفة عين

ملأت ريهام سواد العين

في طرفة عين أخرى

حضنت حلم الكون ..

في العام السادس عشر

قبضت بين يديها قوسين ..

- نضجت ريهام .. وزغرد في شفتيها السحر -

وتصارع فيها الماضي والقادم

أثمر فيها العمر ..

- ما عادت ريهامُ صغيرة

لكن ..

ما زالت عندي في عُمر الزهر

أرشقها كلَّ صباحٍ .. كلَّ مساء

فوق شفاهي ..

ألصقها في عمق الصدر ..

وأغنيها أجملَ ما أكتبُ من شعر ..

- ملأت ريهامُ سويداء القلب

واستولت فيه على شلال الحب ..

وانطلقت أسئلةٌ حيرى

تتقاطر من شفتيها .. كالدر

فأحضن دهشتها .. وأضحكها

أنسيتها الأسئلة الحائرة ..

وقلبي يشق بالجمر ..

- ريهامُ تُفجرُ في أعماقي الصخر ..

تنبشُ أشجانَ العمر .

لكن .. عيناها لى نافذة^ه تحلو فيها الشمس
ويصفو فيها البدر ..

أنظر فيها العالم ..

أقرأ فيها العمرَ القادم
أسقطُ فيها بعضَ الأسوار
وأفسرُ فيها بعضَ الأسرار

- عيناها لى قدر^ه ..

يهتكُ فى داخلِ السرِّ
أرضى أن أخسرَ فيه كلَّ العالم
أربحَ فيه بسمتها النورانية
أرضى أن أخسرَ فيه كلَّ الأحلام
وأربحَ فرحتها الطفلية
أرسمَ كلَّ خرائطِ خطوى القادم
لكنْ يكفينى أن ترسم لى بأناملها
بعضَ خطوطِ ذهبية
نضجت ريهام .. وزغرد فى شفتيها السحر

نضجت .. وامتلكتُ عالمَهَا الحر

_ كتباً .. أوراقاً .. أثواباً .. أسراراً من عطر ..

وحديثاً يأسرُ أو يعسرُ

يحمل للقلبِ بكارته الدافئة

بليلٍ قرّ ..

_ نضجت .. فبماذا أوصيتها الآن

وأنا أخشى أن تنظرَ لي .. وكأني من أشباحِ رمادِ الماضي

_ أحيا مازلتُ بسوطِ الجلالِ .. وصوتِ القاضي .

هي تبغى لو يتغيرُ جلدي ..

لو يتبدلُ لونُ الخوفِ عليها في وجهي

لو أمنحها حريةً أن تحيا

أن تخطئَ

أن تدركَ

حريةً أن تبكى .. أن تضحك

.....

- باحت عيناها لى : لا تحشى ياأبت ..
هذا زمنٌ مختلفٌ عنكم
يرضى أن نلبسَ فيه جلدًا غير الجلد
أن تصبحَ كلُ الخطواتِ إليه مثلَ المد

.....

- ريهام تفجرُ في أعماقي الصخر
ما عادت ريهامُ صغيرة
صارت تطلقُ في أعماقي أفراحَ العمر...

شظايا

أنتِ

- إن لم تكوني أنتِ
تمزقين عند كلِّ مفرقٍ خمارَ الصمتِ
وتشرِّقين كلَّ ليلةٍ
بقصةٍ جديدةٍ .. ما اشتَّهيتِ
إن لم تكوني أنتِ
تناجزين الموتَ ..
وتحملين شعلةَ الدفءِ إذا شكَّوتِ
لكنْتُ منذ اللحظةِ الأولى .. انزويتِ
ونلتِ مني المقتَ . !

.....

طغيان

- طاغٍ في قلبي نأيك

طاغٍ صمتك ..

صوتك ..

ليلك ..

شمسك ..

لا أبغى جبلاً يعصمني منك

أو أحداً يشغلني عنك

فأنا أتحرق في طغيانك !

.....

لو أن ..

- لو أن الريحَ بِساطٌ يهبطُ بين يديك
لو أن الشجرَ المتسكِّعَ في شطِّ الأنهار
يتناقلُ أشعارِي حتى أذنيك
لو أن الشمسَ استرختْ في دَعَةٍ .
تَلِثُ هُدُوبِيك
(لانعدامَ الزمنِ ..
وضاقت كلُّ مسافاتِ الأشواق !)

.....

خروج

حين تجفُّ المدنُ ..
وتحتبسُ الريحُ وراءَ جدار
تسلُّ من بين شقوقِ النار
أفاعى الزمنِ المنهار
أتمنى ساعتها أن يتقشَّرَ جلدى
أن يتناثرَ .. جسدى
أخرجُ من دائرة الأرض
ومن ذاكرةِ الإبصارِ !

.....

طير

- في الليل أشاعُوا عنكَ ..
(نامت في أحضانِ غريب
غابت ..
وتخطَّفها الطيرُ الجارح)
حين بكَرْنَا .. وتساءلنا
كانت أيدينا داميةً ..
كنا الطيرَ الجارح .. !

.....

.....

نوق النعمان

— حين قضوا أن أغرب عنهم
وأجىء بنوق النعمان
كان الزمن بقبضة كفى
ومسافات الأرض أمامي .. خطوة
لكني لما عدت إليك
انفرط الزمن وحوشاً جائعة ..
تأكل نوقي
وتخط الليل على عيني . !

.....

القادم

- أقف على ناصية الليل ..
الناس هنا مشغوفون .. ومهمومون
منهم من خاصر محبوبته .. يغزل عرشاً
في أودية العشق ..
منهم من أعطى ظهراً للناس ..
يغوص خلال زجاج المعروضات
يتحسس حافظة نقوده ..
ويقطب جبهته .. ويسير بعيداً !
منهم من ينظر في قدميه كمن يبحث عن شيء ضاع
منهم من يسرع ..

من يبطئ ..

من يهذى ..

من يترنح ...

لكنى - وحدى -

أقف على ناصية الليل .

تشغلنى أسئلة تأتى من ضوضاء المارة :

(لماذا يقهرنى الليل .. ويبقىنى أحرس ناصيته

أرقب فى سُحط .. حلم العشاق

وفرَح العشاق

ولا يأتينى القادم فى الغد . !)

الحلم

- أَسْمَعُ صَوْتَكِ مُوسِيقَى بَيْنِ الْأَصْوَاتِ
أَتَحَسُّهُ ..

أَلَمِيسُ قَسَمَاتِهِ
أَتَشَمُّ عَطْرَهُ ..

(حِينَ تَجِيُّ الرِّيحُ بِأَصْوَاتٍ خَادِعَةٍ
أُعْطِيهَا ظَهْرِي ..

لَا أَسْمَحُ أَنْ تَغْزُونِي
حَتَّى يَأْتِيَنِي صَوْتُكَ فِي عَرَبَاتِ الشُّوقِ
فَتَطْلُعَ مِنْهُ شَمْسُ الْحَلَمِ الْقَادِمِ !)

.....

المستحيل

- حلماً ألقاكِ
ودفناً ممتداً .. نتعانق
ذاكرةً لا تهدأ - حين يفرقنا الليل -
(أى خطي ساخطة
يمكن أن تسحقنا بعد . ! ؟)

.....

أوسمتى

- أرحلُ في مدنِ العالمِ
في ذاكرةِ الأشجار
وذاكرةِ الآبار
وأرحلُ بين متونِ الأسرار
(لكنى .. لا أجنى أوسمتى إلا في عينيك !)

اسمك

— كان اسمك منقوشاً فوق الصخر
حتى غطاه غبار الأيام
فسموك ملايين الأسماء
لكن اسمك في بؤبؤ عيني محفوراً — مازال —
لم يسقطه غبار الأيام
وأكنى عنه بملايين الأسماء ..

.....

البحر

قالوا : إذا رأيتَ البحرُ

سبِّحْ بموجهِ واسترخِ ..

— عيناكِ إلى السماء .

يمنحكِ ما لم يمنحِ الطيور ...

لكنما قلبي معلقٌ بغيرِ البحرِ ..

إذا قطعتُ وصلتهُ .. جفَّتْ دماؤه

تَقَصَّفَتْ أَعْوادهُ

وليس عند البحرِ .. ما يصلحُ ما انكسر !

.....

زماننا

— الدراويشُ عادوا يُجيدون صُنْعَ الحِكم
الدراويشُ يقتلونَ على الأنصبة !
أعودُ زمانُ الكِهانةِ ثانيةً
أين فينا النبيُّ الذي !
(قد مضى زمنُ الأنبياء
واستوى فوق أحلامنا الأدعياء
وارتضينا السأم . !)

.....

الدائرة

- في كل صباح .. تُنهي لُعبَتَها
تَسْكُتُ عن بوحِ الليل ..
تقرعُ رأسي .. يتوقف ..
تسألني نفسيَ الأسئلةِ المتتوية
ويسألني أمسي .. وغدى .. ويسألني أطفالي ..
(وعلى باب الليلِ القادمِ
غازٍ .. آخر . !)
.....

متى .. ؟

- الصلاةُ على مَفْرِقِ الطرقات
للذين يَحْيُثُونَ بالحُب ..
أو للذين يَحْيُثُونَ بالبغض ..
كلُّ شيءٍ على مَفْرِقِ الطرقات
غارقٌ في الطقوسِ بلا تفرقة
والخُطى حوله .. مُرَهَقَةٌ
- فتي يُنزل الوجهُ أصباغَه
ومتى تسْقُطُ الأقنعة . !

.....

الموت

يفجؤني شبحٌ ليليُّ
أثقلُ من همِّي .. - أحسُّه الموت -
آه .. لا أتعجلُ ضيقي
فأنا أغزلُ مازلتُ خيوطي
وأعلقُّها فوق جدارِ الصمت
فيكونُ الشعرُ !

.....

متهم

متهمٌ بالشعر

ومتهمٌ بالعشق

ومتهمٌ بسَعِيرِ الكلمة ...

- يا كلَّ قضاةِ العصر

معترفٌ بالذنبِ أنا ..

فإذا راقَ لكم قتلى

فالتهمةُ باقيةٌ لزمانٍ آخر .. !

.....

تجربة

— كان حين انطلقنا معا
كان مثليَ يعشَقُها .. ويطيلُ التعبد
كان للنهرِ في القلبِ مجراه
للنخلِ .. مثواه
كانت الأرضُ إيوانَ مسجد ..
— كان حين انطلقنا معاً .. أصدقاء
نتقاسمُ وُدَّ الجميلاتِ في قاعةِ الدرس
أكتبُ فيهنَّ شعري
وأرسمُ أحلامهنَّ على صفحةِ النهر
— لكنَّه لم يكنْ شاعراً —

- أتذكر يوماً أتى صاحبي واستدان قصيدة حب

أدركتها حبيبته .. هجرته

وأقصته عن جنة الحب مثل الشياطين

(من يومها ..

وصديقي متشح لحية ليكفر عن ذنبه المستحيل !)

.....

- كان مثلي حين انطلقنا

كان يني قصوراً من الرمل

كان يفاخر بالنيل - أجمل ما فجر الله في الأرض -

كانت الشمس فوق الحقول

تشق لنا طرقات النماء .. غدا ..

كان يسعد حين يجادل حول أصالة هذا الوطن ..

- كنت مختلفاً عنه ..

لكننا .. نتعاقب في آخر الشوط

نضحك في آخر الشوط

نلقى على النهر أثقالنا ..

ثم نمضي معا ...

.....

- مرة .. جاءني ساخطا

حاملاً في يديه جواز سفر

يومها .. كاذ قلمي يكفُّ عن الحق

تمنيت لو شُقت الأرض .. لو بلعتنا معا ..

- (عهدنا يا صديقي

نعيشُ على ضيفِ النهر

نُلقي بأثقالنا .. نتحملُ هذا الضجرُ،

فلماذا السفرُ؟ ..)

قال : صوتُ الدنانير في داخلي ينتصر

نهرنا يا صديقي كان يفيضُ على الضيفتين

ما الذي أمسك النهرَ فاصفرَّ وجهُ السماء ..

قلت : للنهرِ مثلَ الجواد

كبوةٌ .. ويعود

صاح : إني أسافرُ حتى يعود . !

قلت : تهربُ من ساحةِ الصبر

أين عهدُ الصِّبا بيننا

أين ما كنتَ فيه تجادلُ حولَ الوطنِ ؟ .

قال : كنا نخادعُ أنفسنا .. ونثرثُ في الطرقات .. ونهتفُ في قاعةِ

الدرسِ .. كنا صغاراً .. نُلَقِّنُ حباً عقيماً .. ونُسألُ

فيه .. ونفرغُهُ في الدفاترِ .. نُلقيه في آخرِ العامِ في

عرباتِ القمامةِ .. ثم نعودُ إليه .. نلونه .. ونزيّنه .. ثم

نُسألُ فيه .. ونفرغُهُ . نتخلصُ منه ونمنحُ في آخرِ الشوطِ

صكَّ العبورِ إلى سنةٍ قادمة ! ..

قلت : والحزنُ يعصرُنِي :

ربما العيبُ فينا ..

صاح مخترقاً أضلعي :

- ليت من علَّمونا أحبوا من القلب

كنا منحنا المحبة صادقة .. والفؤاد

ليتهم ينتحون قليلاً .. فيندفقُ النهرُ

يغسلُ أعماقنا .. وتجفُّها الشمسُ

حتى نفيقَ على الحُلم والحزنِ والوجعِ السرمدى .
إننى الآن أرحلُ
ألبسُ أرديةَ الزاهدين
وألبسُ أقنعةَ المارقين
فلكل لباسٍ .. ثَمَنٌ .. !

.....

- لم أعد قادراً أن أعيدَ صديقىِ إلى ضِفَةِ النهر
تلقيتُ منه خطاباً أخيراً يقول :

- يا صديقى
إذا كنتَ مازلتَ تحفظُ بعضَ عهودى
فأنا قد نسيت
وإذا شئتَ .. ألقيتها الآنَ فى النهر
كى تستريح .. !

٦ - ٢ - ١٩٨٦

طقوس زم الفم

- بعينى حين يفاجئنى الليل .. أسئلة

وبكفى رائحة لغبار النهار

وحبر الجرائد

والكتب الجاهلية ..

والشوارع فى داخلى الآن نهر كثير الروافد

(إن يقبل الليل .. يطو إلى الصمت أطرافه

فتزيد البلية ..)

- طويت صفحة البوح من زمن

واختفت شهر زاد الجميلة

والفقير الذى كان يشكو قديما

تُخَالِي هُنَا عَنْ فَصَاحَتِهِ

.....

قلت : أَخْلَعُ ثُوبَ التَّرْقِبِ وَالشَّعْرِ
أُبْعِدُ نَفْسِي عَنْ صَفَقَاتِ الرِّفَاقِ
وعن جدلِ القولِ - حول الذي كَانَ أو ما يكون -
وعن أمسياتٍ تَرْوِّقُهَا الْكَلِمَاتُ
وتُزَجِّي الفِرَاقَ الذي يَنْهَشُ القلبَ ..
قلت : الشَّوَارِعُ وَجْهِي .. وَصَوْتِي
وَالْأَمْسِيَّاتُ .. وَدَفْءُ الْمَوَاعِيدِ ..

.....

- مَتَخِمَةٌ يَا عَيُونَ الشَّوَارِعِ بِالدَّمْعِ
لَكِنَّا نَحْسِبُ الدَّمْعَ ضَوْءَ الْقَنَادِيلِ
- مَطْفَأَةٌ يَاجُومُ الْمَدِينَةَ تَحُلُو سَمَاكٍ مِنَ الْحَلْمِ
(لَكِنَّا الشَّعْرُ يُوهِمُنَا بِالْحِكَايَا الدَّفِئَةِ)
- مَعْدَرَةٌ يَا عَيُونَ الْمَدِينَةِ .. إِنَّا رَصَدْنَا الْوَجْهَ طَوِيلًا
فَلَا طَائِلَ الْآنَ أَنْ نَتَأَمَّلَ بِالشَّعْرِ ..

إنْ أقفِ الآن سوف تداهمني الخطوات
وتسحقني اللعناتُ

وتأكلُ وجهي عيونُ المرابين ..

- تجذبني ملصقاتُ الشوارع

أنظرُ فيها اللغاتِ الغريبةَ

أنظرُ فيها وجوهَ الرجال .. وجوهَ النساءِ الجديدةِ
أسألُ نفسي :

متى ينظرُ الناسُ وجهيَ في الملصقاتِ

وفي الصحفِ المستباحةِ

أصبحُ نجماً يحيطون بي

وأوقعُ أوراقهم بابتسامة !!

- لا طائلَ الآن من ثقلِ الشعرِ

واللغةِ القُرْشِيَّةِ

والكتبِ الجاهليةِ

والنحوِ والصرفِ .. والأبجدية ..

(والوطنُ - الحلمُ - مستعرُّ في الرمالِ

- يفجّرُ نَحْلاً .. وجُرْحاً
ولونُ الشهادةِ في أعينِ الثاكِلاتِ
ولا يطفئُ الجُمُرَ .. ما يفعلُ الشعرُ !)
- تلك الشوارعُ يملؤها الناسُ
والناسُ لا يعرفون الطريقَ إلى قاعةِ الأمسياتِ
يتبارى بها الشعراءُ .. وهم يلبسون الثيابَ الأنيقةَ
يشكون ملءَ القصائدِ جوعَ البطون .. وعُرىَ الجسد ..
- كيف للقلبِ أن يتد ..
والشوارعُ يملؤها الناسُ
والناسُ لا يقربون المحافلَ - يختلف المترفون عليها
يقصُّون عن عبقريةِ (موزار)
أو ريادةِ (باوند) للشعر
- ونسوا يوم ضاقَ بهم واحدٌ فتغذى بلوحاته النيلُ
ثم بكى .. وارتمل !
.....
- فجأة .. أتوقفُ في المنعطف

فأرى ألفَ باب .. وباب ..
وأودُ أصبحُ .. بما أعترف
الشوارعُ يملؤها الناس ..
والممصقاتُ .. ولونُ الوجوه الشقية
والوطنُ - الحلم .
واللعناتُ .. تحاصرني ..
- أنظر كفىً فارغةً .. فأزُمُ في
وألوذُ إلى حائطٍ كادَ ينقض ..
أغمضُ عينيَّ ..
أقبضُ رأسي
لعلَّ أحلم أن يتغيرَ جلدى
فأنخلعُ ثوبَ الكتابة
ثوبَ الكآبة ..

بلادی

[بلادی وإن جارت علیّ عزيزة
وأهلی وإن ضنوا علیّ كرام]

- وقوفاً علی بابكِ الآن

هل تضعين المساحيق - ما زلت -

أم أن وجهكِ أعيا الأطباء حين اعتراكِ الوهنُ

- شحوباً علی ربوةِ الأمس

هل تندبين التوايت - ما زلت -

تحتملين المحن ..

- أمدّ يميني .. امنحيني كتابكِ

(هذا المدمّي بلونِ صباك)

- امنحني كتابك
غدرُ الصباحِ يظللُ عينيَّ
يجعلني الآن اقرأُ حتفَ الوطنِ ..
- لا تجورى علىَّ
ولا تأمرى البحرَ تعصفُ أمواجهُ بالسفنِ ..
- لا تجورى ..
كفانى .. عصافيرُك الآن كفتُ عن البوحِ
والشجراتُ التى مدتِ الظلَّ أنقشُ عهدى عليها
تخلت عن العهدِ ..
- إني قدمتُ من النيلِ ..
والنيلُ مدُّ ذراعَيْهِ بالدفعِ
ضم اتساعَ خطاكِ - من البحرِ للبحرِ -
- إني قدمتُ من النيلِ ..
تشمخُ فيه الشجيراتُ من أجلِ عينيكِ
أطوى بجانبى لونَ صباكِ
وأطوى المسافاتِ .. أطوى الزمنَ ..

- امنحني كتابك .. أقرأ آياته الآن

أنزِعُ صمتَ الكفن ..

فالصحابُ على ضفةِ النيلِ

لم يخلوا بدماءِ القلوبِ عليك !

(التواريخُ تشهدُ

صخرُ جبالِكِ يشهدُ

هبُ العواصفِ يشهدُ

وقعُ خطاكِ من البحرِ للبحر ...

يشهدُ أنا لكلِ المحنِ !)

- قيل : كم تدفعُ الآنَ للعشق

(كلَّ الثمنِ . !)

افتحوا الآنَ صدري .. كم تشهدون به من دِمنٍ

قيل : سيدةُ السُّقمِ تحلُعُ في الليلِ أثوابها

لترتقَ ما أحدثته الشظايا نهارا

فيسكنها البردُ ملءَ البدنِ

- إنها الآنَ غارقةٌ في الدماء

صبغتُ رملها بالدماء
غسلتُ حبة القلبِ واهنةً
أصبحَ اللونُ .. والصوتُ .. والليلُ .. والصمتُ .. والبحرُ ..
نبضَ دماء ..

- إنها الآن تنسى القصائدَ والشعراء
وتنسى الملاحمَ والبُوح
كلُّ الذي كان .. أصبحَ مثلَ الوثنِ ..
والذي جاء يركبُ مُهراً ليطلبها الأمس
أزهقَ طاقته .. وامتهنْ !

- إني الآن جئتُ ..
معي النيلُ مستعرا
أترى (أم أوفى) تقابلُ عاشقها اليومَ بالشوق
أم أن عاشقها قد تغربَّ
حتى إذا عادَ .. أخطأ لونَ السننِ !

- قد تحملتُ من قبل
لكنني عشتُ نخطواً من الجمر

ألقى وصايا المرابين في البحر
(كيف تغلق أبوابها الآن دوني
تنبذني الأمسيات .. وحملقة الجاريات
- إذا جئت - نفقد حكمتنا .. ونجنى !)
- في دمائي ينخلع القلب
دونى يشتعل البحر ..
فوق الرمال تدق النواقيس
والشهداء يطوفون بالليل في الطرقات البعيدة
- هل أحرق الآن تلك السفائن .
هل أهرب الآن حين تنادى الروابي المدماة
أزرع فيها المتاريس .
- سيدتى ..
إننى جئت .. لا تسلمينى لأيدى الهزيمة
جورى كما شئت (أنتِ العزيزة)
لا تفقدى الآن شوق المحارب
إننى وقعت بالموت - من زمن -

کى تعیشى ..
وإن جَارَ قَلْبُكَ ..
أنت الحبیة - رَغَمَ الحنّ - !

۱۹۸۷ - ۸ - ۱۷

أوسمة الفقراء

[فقراء .. لا .. والله

نحن ربابةً للسائرين

نُواحُها .. غنَّى بهم !]

محمود حسن إسماعيل

- بل شعراءُ .. فقراءُ .. والله

نتغنَّى بالداء .. ونفنى في الآه

ونسافرُ في داخلنا .. ونضيلُ كثيرا

ثبني .. نهدمُ أكوخاً .. وتواييتَ

وأرحاماً .. وجباه ..

- نحن الشعراءُ الآذانُ .. الأعينُ .. والأفواه

.....

- يا حاديننا ..

هل تسألُ عن قافلةٍ كانت تسرى بالحب

أم أنك تسألُ عن نخلتك السماء

لكم أسقطناها رطبا في أيدينا

ثم تقافزنا .. نحضنها عبر مدقات الحقل

فتساقط منا - ترسم دربا من ثمر -

فيلاحقنا الحارسُ في يده سكينٌ .. وبقايا سعف ! .

- كنا مثل القمح سنابل .. نضحك .. نضحك

لا يهزمنا الخوف ..

فماذا أصبحنا ؟ .

شعراء .. فقراء .. والله

- نتأمل بالشعر .. ونحكي قصتنا لليل

لكنَّ نجومَ الليل تراوغنا .. لا تسمعنا

- نغرسُ حلما في طرقاتِ العشق

فتولد في الفجرِ الأزهار .

وتدبلُ في الفجرِ الأزهار ..

- نطلبُ نبعَ الأرضِ الصافيِ يروى ظمأً القلب
لكنَّ الأرض

تشربُ ما ينبعُ من ماء

ما يهيمى من أمطار..

- أصبحنا شعراءً.. فقراء

لم نشكُّ إلى أحدٍ وجعَ الفقرِ.. وجذبَ الشعر

أجمننا أنفسنا.. لا نقبلُ نصحَ العالمِ بالأمر

قالوا: كيف جهلتم أسرارَ اللعبة؟

يمكنكم فى ليلةٍ سمرٍ أن تُمسوا بين الناس

سراة الشعراء

(فالبحرُ العاقى ينبعُ من أقدامِ السادة

وسفينةُ نوحٍ تعبُرُه.. لا تخطئُ أبداً

والشمسُ خيوطُ الخيرِ على أرضِ الخصبِ

لا شىء هنا مدمومٌ.. أو يُوحى بالجدبِ..)

- تلك اللعبةُ كاملةٌ يا شعراء!

قلنا: لسنّا نُتقِنُ هذى اللعبة

فالكلمة سيفٌ إن يكسر يوماً
سقط الفارسُ .. وانفرط الشعر ..

قالوا : فلسفةٌ يعوزها البرهان
ما أعجبكم .. فقراء ..
وموائدنا .. تدعوكم كلَّ أوان
ما أجهلكم .. شعراء
وليالينا .. مفعمة الألوان
نعمٌ وارفة .. وفنونٌ .. وجنان ..

قالوا - فيما قالوا - :

(العالم سيركٌ للألعابِ النارية
من يحرز سبقاً .. يصعدُ للأدوارِ العلوية ..)
لكننا ياشاعرنا - مثلكَ - ألجمنا أنفسنا
لم نتدربَ في الحلبة
كادت تقتلنا الأفيالُ .. وتأكلنا الدببة
فخسرنا اللعبة ..

وتعانقنا في وهجِ الشمسِ .. وتحت ظلالِ اللغةِ الصعبة ..

- مثلك .. مازلنا فقراء

نمتلك الكلمة - لا تسقط

والوجه الممتشق على سارية - لا يسقط -

وشراعاً فوق الموج الهادر - لا يسقط

(تلك براءتنا في ساعاتِ الشدة !)

٢٥ - ٤ - ١٩٨٧

أحزان عروة بن الورد

تأخذين برأسي كل مساء
تجيدين هدهدة القلب
تحتملين غبار المسافات .. عصفا الحكايات
عيناي تلتئمان .. تحطآن فوق عذوبة صدرك ..
أقضم خبزي المندى بصوتك
- يؤنسني في ليالي التوجس والغزو -
يزرع في الصحراء نخيلاً .. إليه أفيء
وأغمض عيني ..
أحلم أني بصدرك طفل التوهج ..
- أنكرتنى القبيلة منذ ولدت ..

طاردتني القبيلة .. ضجَّ بيَّ الشعرُ والشعراءُ
رمتني القبيلةُ بالشُّركِ .. والإفكِ
- تطلبُ رأسيَ -

تمنحُ أبهى القلائدِ للفائزين ..
- ارتميتُ بصدركِ يارحبةَ الصدرِ
لُذْتُ بعينيكِ
سيفي جفونك ..
شِعريَ من وجنتك يضيءُ

.....

جئتُ رثَّ الثيابِ فقيرا
أغنيَّ بشعريَ لمن هام مثليَ في الصحراءِ
- جئتُ .. لا تنكري الخطؤَ

لاتسلميني لسيف القبيلة
حسبي (أقسمُ جسميَ بين الجسومِ
وأحسُّ برودةَ مائي .. من أجل عينيكِ
تشقى جراحيَ من أجل عينيكِ

ينطلقُ الشعرُ مني سِهَاماً تمزقُ ليلَ المِرابين
تُسقطُ أعتىَ الحصون ..)

- وأنا لا أهون ..

لأنىَ عاهدتُ عينيكِ ذاتَ صباحٍ .. وهاجرتُ
يوماً ..

أُغيرُ على النَّجدِ

يوماً ..

أُغيرُ على السَّهلِ .

كلُّ الليالى الكثيبةُ أسقطُها تحتَ سيفى

كلُّ حكايا الصِّعاليكِ

كلُّ الأساطيرِ

تذكُرُنِي فى ليالىِ القبيلةِ

- ليس لى الآنَ غيرُ ملامحِ وجهك

شاهتُ وجوهَ القبيلةِ

شاه بها الشعراء

- يريقونَ وجهَ القصائدِ بينَ دنانِ الشرابِ

يُحِيلُونَ سَقَطَ الرجالِ ملوكاً على الأرض !!
شاهَ بها الشعراء ..
- منذ هاجرتُ .. سيفي أُشرِّعه في الوجوه الكثيبة
حرفي أنْفِذه في القلوب ..
لعلَّ الحجارة تسقط
أبني سياجاً من الحب ..
أفتح باباً من الدفء .. للأشقياء ..
- اقبليني - كما جئتُ ملتجئاً ..
اجعلي الحبَ بيني وبينك مبتداء
إن شعري منذ سئمتُ القبيلة مشتعلاً في العراء
لا تطيلي التساؤلَ عن سفرى في ليالى الشتاء ..
- إن سيفي ملكٌ يميني .. مازال
والشعراء ..
يريقون ماءً الوجوه ..
يكيدون للشعر ... والوطن - الخصب -
- أيقظي الآن عينيك

ظَلَّيْ لَدَى ..

اجْعَلِي الْحَبَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَبْتَدَأَ

— أَيْقِظِي الْآنَ قَلْبَكَ

لَا تَسْلِمِيْنِي لِسَيْفِ الْقَبِيلَةِ

٢٢ - ٧ - ١٩٨٤

إسراء

[إلى أطفال الحجارة]

صليتُ الفجر ..

فأحسستُ الرِّعْشَةَ تُسْرِى فى أعماقِ
انتفضَّ القلبُ الحاملُ .. شُقَّ جدارُ الليلِ

خاطبني المَلَكُ النوراني :

- اتبعني يا عبدَ الله ..

- لكنى لستُ نبياً ، أو صديقاً .. أو حتى عرافاً . ! -

صاح : اتبعني يا عبدَ الله .. ولا تسألني ..

حلَّقَ بى المَلَكُ النوراني ..

ذهَلت عيناى .. وأصْغت أذناى

- كان العالمُ من تحتي قبضةً كف
والريحُ تساييح ..
ولونُ الشمسِ رذاذاً فوق غصونِ الأشجار
- تساءلتُ : إلى أين ؟ ..
- في لحظةٍ عين . ! -
هبط الملكُ النوراني ..
أنزلى في صحراءٍ ... قال :
- هذا قدرُك يا مسلوبَ الخطو
انظر قدَّامَكَ أو خلفَكَ .. تعرفُ ماذا ينتظرك
- كانت صحراءٌ قانيةٌ تسبحُ في موجِ سراب
قلت : لعل الشمسَ استعرت
فقبضتُ الرملَ بكفى .. قبضتُ دماً مازال نديا
فارتعدَ القلبُ وزاغتُ عيناى ..
تلفتتُ .. فلم أجِدِ الملكَ النوراني
أسرعتُ .. أصبحُ .. أصبحُ .. أنادى
فارتد الصوتُ عليلاً في أعماق ..

حدقتُ النظرَ طويلاً .. ثار غبارٌ .. أخذته الريح بعيداً

- هذا سورٌ .. أم بيتٌ مهجور-

أسرعتُ إليه .. درتُ كثيراً حولَ السورِ .. تسالت

- أكوامُ رمال ..

بابٌ مكسورٌ .. ونوافذٌ تصفرُّ فيها الريح

وأحجارٌ متناثرة

لعبٌ .. أوراقٌ .. أقلامٌ .. وحقائب

رائحةٌ للموتِ .. مقاعدٌ متخاذلةٌ ..

أقصةٌ دامية

وحكاياتٌ ناقصةٌ فوقَ شفاهِ الأطفال ..

- خففتُ الوطءَ قليلاً

يتدلى جرسٌ من فوقِ جدار

مازال أبو ياسرَ يُمسِكُ حبلَ الجرس

وينظرُ في ساعته الرقمية

والأطفالُ .. أراهم في عُرفِ الدرس

نياماً فوق موائدهم ..

أو تحت موائدهم ..
 ينتظرون نهاية هذا الفصل ..
 وفوق السُّبُورِ تاريخٌ مشثوم
 أخطأ كاتبه في السِّنة الميلادية
 فلم يكتبَ رقمَ الألف
 (أُثراه يعنى عصرَ الغاب
 أم حاولَ عمداً أن يرتدَّ الزمنُ ولا يمتد !)
 قلت : أكونُ أبا ياسر
 وأدقُّ الجرسَ الصامتَ أنهى هذا الليلَ الموحش
 أسرعْتُ .. تعثرتُ برأسٍ صغيرٍ يتوسل
 أمسكتُ الرأسَ أسائله قال :
 نحن الأطفالُ الشهداء
 نحن حجارةُ هذا السور
 ومثدنةُ الأقصى .. والساحةُ - داميةٌ -
 نحن الأجراسُ .. وأوراقُ السادةِ فوق موائدهم
 نحن اللعبةُ - خاسرةٌ - في أيديكم

نحن حكايات متجددة ..

فأقرع أجراسك للسادة ..

لا تفرعها للأطفال ! ..

.....

- انهار الصمتُ بقلبي .. فتفجّرَ جمرًا

وتقاطر من عينيَّ دموعاً .. غمرتُ جمجمةَ الطفل

انطلق دخانٌ يصّاعدُ .. يصّاعدُ .. ينشق :

- صوتٌ طبول .. وزئيرٌ وحوش

وشظايا ..

ألقيتُ بنفسي في أقربِ حفرة ..

وضممتُ إلى صدري كلَّ جماجمِ أطفالي ..

.....

- واجهني الملكُ النوراني :

(الآن تَخَيَّرْ أقدارك !)

قلت : الجرسُ الصامتُ يقرعُ رأسي

لكنَّ جماجمَ أطفالي .. تشطرنِي نصفين

قال : احملها معك الآن
واضرب كل رعوس السادة
وانثرها فوق موائدهم
واملاها بشراب يوقظ فيهم ماغاب ..
ومامات !

.....

- لا أكذبكم ياسادتنا
أسريت الليلة .. واستعرت أعماق
أبحث فيكم عن صديق واحد
يحمل مثلي هذا القدر الدامي
ويدق الأجراس !

١٣ - ٢ - ١٩٨٨

الصيد

حدثته .. حدثني

ولم يزد عن جملة واحدة

ثم اختفى في الموج ..

ألقيت ما أحمل من شباكى

قرأت سورة البحر .. وسورة الصحراء

وكل ما لم تُنزل السماء ..

أشعلت فوق الشاطئ البخور

ألقيت التائم المرصودة ..

لكنه غاب .. وأمعن الغياب ..

أنصت .. صوت طفلى التى اصطفاها الموج

يوماً .. وحدها ..
أنصتُ .. صوتُ ما تقصَّفتُ به الضلوع
ما يشرقُ في الخلق ..
نزعْتُ قلبي من إيساره
قدفُتُه في البحر .. حتى يستجيب
زُلزِلتُ مفاصلُ البحر .. وملاً الفضاء ضحكاً
يا أيها القاصمُ ظهري ألفَ مرةٍ
أريدُ فُلُكاً

هزأتُ بي ..
أسقطني العالمُ من حسابهِ
وراهنَ الملحُ على الجمر
زُلزِلتُ مفاصلُ البحر .. وملاً الفضاء قصفاً
غامتُ بعيني السماء .. هل أنالُ حثفاً
وخطوى الموءودُ لم يُسعِفْ شباكي بعد
وطائرُ النورسِ لم يجيئ في مواعده ..
- أنذرني البحر .. استقرتُ تحت جلدي ملحهُ

ظمئت ..

قال : غاب الوطن القديم في جوفى

كما يغيب كلُّ شىء.

فأدر لي ظهرك الآن .. ولملم الشباك

واحملها على الكتفين ..

فربما جنّة تُبعث من قلب الرمال لك

تقول : (شبيبك وليّك ..)

وربما ..

تصنع من خيالها الوطن ..

قلت : فقدت القلب في موجك

من أجل الذى يغيب

وحرقتى .. أصيد في الماء

ولا أصيد في الصحراء ..

— زلزل البحر بضحكه الفضاء

غامت السماء

تساقطت فوق الرمال سحبا .. وموجا

٠ هل تصلح الشباك أن تصيد فى البحر الجديد
وطنا ! .

٥ - ٦ - ١٩٨٨

التباس

من يصدِّقُ من ..
من يكذبُ من ..
النبوءاتُ تأتي من البحر
والبحر لا يستقر ..
والعبابُ الذي ثار من لحظةٍ
يترك الآن فوق العيون الزَّبد
ثم يسرعُ .. يُفلتُ عن قبضة اليد ..
.....

من يصدِّقُ من
من يكذبُ من ..

الذى قال بالأمسِ قولته
أقبلَ اليوم ينكرُ ما قال
- لونٌ جديدٌ على شفتيه

سوادٌ كئيبٌ بعينه
حسٌ خفىٌ بكفيه

- الذى قال بالأمسِ قولته
لم يقلها وسيفٌ يباغته
أو شظايا من الجمر تشطره
- الذى قال بالأمس ..

ماعاد نصلاً وصخرا

وما عاد للقادمين النبوة

.....

من يصدق من ..

قال لى صاحبي - ورمال التواريخ ترسم عينيه - :

- أنت ترهق نفسك شعرا

وتذبح نفسك قهرا ..

إن هذا الزمان الذى نقبضه

يحرق الآن أصباغه ..

يتسرب من فتحات الأصابع

— هذا الزمان غريبٌ على الأزمنة

أترى الآن أشجاره

كيف تفقدُ أثمارها وهي تشمخ فوق الرمال

— أترى الآن فُرسانه

يختفون وراء الحوائط كالنسوة العاقرات

— أترى الآن كيف يهْمُ الصغار

وقد حملوا في الجيوب الحجار

عليها دمُ الكلمات . حروفُ الوطن ..

— قال لي صاحبي :

إن هذا زمان الكبائر

هذا ضياع المصائر ..

من يشرب الكأس .. ماتت لديه الضمائر

أترى الآن كيف تناثر بين الدروب الرفاق

تاركين على السفح رايتهم .. راحلين

تَحْطُّ عَلَيْهَا النُّسُورُ
وَيَجْتَمِعُ النَّمْلُ
حَتَّى تُصِيرَ الْمَدَائِنُ شَائِئَةً

.....

- رَايَةٌ فَوْقَ هَذِي الشُّطُوطِ .. الْمَدَائِنُ
كَانَتْ تَجَدِّدُ ذَاكِرَةَ الْعَرَبِيِّ زَمَانًا
وَلَكِنَّهَا الْآنَ غَائِبَةٌ ..
لَيْتَهَا غَيْبَةُ الْعَاشِقِينَ
لَيْتَهَا امْرَأَةٌ .. نَفَضَتْ فِي الظَّلَامِ ضِفَائِرَهَا
وَأَنْشَتَ نَجْمَةٌ .. أَوْ نَسِيمَةٌ حُلُمٍ ..
إِلَى أَنْ يَجِيءَ الصَّبَاحُ
فَتَلْبَسَ زِينَتَهَا ..
- إِنَّهَا امْرَأَةٌ عَاهِرَةٌ

خَلَعَتْ فِي الظَّلَامِ غِلَائِلَهَا
ثُمَّ أَلْقَتْ أُنُوثَتَهَا بَيْنَ دَفْعِ الرِّجَالِ
إِلَى أَنْ يَجِيءَ الصَّبَاحُ

فتخرجُ عاريةً
وتجاهرُ بالسرِّ .. والضحكةِ الساخرة ..
.....

- من يصدق من
الرياح تصفرُّ كالجرح
والرملُ منتفخٌ في العيون
ورائحةٌ من خلال التوايت
تهربُ منها العصافير
والأصدقاء على مفرقِ الدربِ ينسحبون
وصوتٌ من الغيب ..!
.....

لم يبقَ غير الصراخ الذي
ألبسَ الوهمَ
ثوبَ الوطن ..!

١٩٨٨ - ١٢ - ٧

سوق عكاظ

أجل الآن هذا الحُداء
تتوخى القوافل أن تتلكأ في الظلِ
حتى يتم لقاء المحبين ..
حتى أرى الشعراء يميلون نحو القباب
قُبيلَ الرحيل ..

أجل الآن هذا النداء العليل
إنها السوق تنفض .. هل من سبيل
والقصائد تنزف أحرفها في التلول
وثأرٌ جديدٌ يثور
وثأرٌ قديمٌ يزول ..

أَجَلُ الْآنَ هَذَا الصَّرَاحُ ..
إِنهَا السُّوقُ مَهْدُ الْحِكَايَاتِ
تَعْصِفُ حِينًا بَفُرْسَانِهَا الْفَاتِحِينَ
وَحِينًا تَفَاخَرُ بِالْقَاعِدِينَ
وَلَا شَيْءَ يَبْقَى سِوَى دُمَعَاتِ الصِّغَارِ
— بِنَا .. نَبِّكَ ذَكَرَى الدِّيَارِ
وَنَبِّكَ انْتِظَارَ النَّهَارِ
وَأَوْجَاعَ مَنْ يَرْحَلُونَ
إِنْ قِيسًا مَعَ الْقَاعِدِينَ
وَلَيْلَى مَعَ النَّاتِحِينَ
وَرِزَّةَ جَلِيلَةٍ مَازَالَ يُنْبِتُ فِي الرَّمْلِ
وَرَدًّا .. وَصَفْصَافَةً .. وَأُنِينَ
وَبَيْنَ الْخَنَادِقِ أَلْفُ قَتِيلٍ ..
— أَجَلُ الْآنَ مَاسُوفٌ يَأْتِي
وَمَا سَيَكُونُ ..

أَجَلُ الْآنَ هَذَا النُّوَّاحَ .. وَأَوْقَفَ رِيَّاحَ الْحَنِينِ

وحدّق بأقدامنا

بعيون الصبايا

بكل الجرار التي فرغت منذ حين

بالدماء التي لا تزال على صخرة لاتلين

إنه الوجع المتوقّد في العين

والهلع المتجدّد في القلب

والصلوات .. الفروض .. النوافل .. والسّهو

والرعشات بصدر الصغار المهانين

- لن يقبل الله منا التبتّل

والرق في السوق مازال نهراً يسيل

وأشجارنا تحتفى بالعويل

وسوط يهوذا

وحبل المشانق .. والقهر

ينتظر القادمين

.....

- كان في البدء هذا الكتاب المبين

كان بين يدينا ورودَ اليقين ..
إنه اليومَ تلعه في الخرابِ .. الكلاب
إنه اليومَ بدءُ .. ودربُ .. وأى انتهاء
أجل الآن هذا الحذاء
وابداً الآن سوقاً نجادلُ فيها طويلاً
بلا شعر .. أو قافية ..
نجدل بالبندقية ..
بالسوط ..
بالحجر .. الجمر ..
بالسَّهر .. الصَّحو .. في فلواتِ الشتاء
.....

لست أطلبُ حربَ البسوسِ .. ولا صلفَ الأغبياء
ولسنا نحاربُ من أجل ذيل بعيرٍ
ونعلٍ حقيرٍ
وشروى نقيرٍ
وصيحةٍ فخرٍ بوجه أميرٍ

نحاربُ من أجل ماضعَ منا
ومابيعَ منا
ومن جاعَ منا
ومنُ!

لست أبكى طول الحبيبة
أو حصياتِ الدَّمَنُ
أجل الآن ذكرَ المحنُ
إنما الذكرياتُ .. وهنُ ..
وأبدأ السوقَ - لا تستمعُ للوصايا -
وأسقطُ جدارَ الوثنُ ..
قد مضى زمنُ الجاهلية - فوق الرمالِ ضحايا -
وكلُ المفازاتِ تنكرُ لونَ العفنُ ..
والذى فى عيونِ الصغار
من القهرِ .. والموتِ
والأمنياتُ ..

يستحقُّ الثمنُ ..

سوماج

١٠ - ١ - ١٩٨٩

قصائد الديوان

صفحة

- لو ٧
- لحظة صمت ٩
- الملكة ١٣
- اليمامة ١٦
- قراءة في كتاب الليل ٢٠
- لما حررتني الشعر ٢٣
- الخطأ ٢٧
- ربهام ٣٠
- شظايا ٣٥
- تجربة ٥٥
- طقوس زم الفم ٦٠
- بلادى ٦٥
- أوسمة الفقراء ٧١
- أحزان عروة بن الورد ٧٦
- إسرائ (إلى أطفال الحجارة) ٨١
- الصياد ٨٧
- التباس ٩١
- سوق عكاظ ٩٦

للشاعر

شعر

١٩٦٧	دار الكاتب العربي	- الطريق والقلب الحائر
١٩٧٠	مؤسسة التأليف والنشر	- المهجرة من الجهات الأربع
١٩٧٣	دار الناشر العربي	- البحث عن الدائرة المجهولة
١٩٧٧	مكتبة مدبولي	- الليل وذاكرة الأوراق
١٩٨٠	هيئة الكتاب	- الخروج إلى الهر
١٩٨٥	دار الشروق	- السفر والأوسمة
١٩٨٦	مكتبة مدبولي	- العطش الأكبر
١٩٨٧	هيئة الكتاب	- الشوق في مدائن العشق

المسرح الشعري :

١٩٨٢	دار المعارف	- أختاتون
١٩٨٣	هيئة الكتاب	- شهريار
(تحت الطبع)	هيئة الكتاب	- عنتره

دراسات :

- | | | |
|------|----------------------------|-----------------------------|
| ١٩٨١ | المجلس الأعلى للثقافة | - شعرنا القديم رؤية عصرية |
| ١٩٨٤ | هيئة الكتاب | - المرأة في شعر البياني |
| ١٩٨٨ | دار المعارف (ط ٢) | - أطفالنا في عيون الشعراء |
| ١٩٨٦ | المركز القومي لثقافة الطفل | - محمد الهراوي شاعر الأطفال |

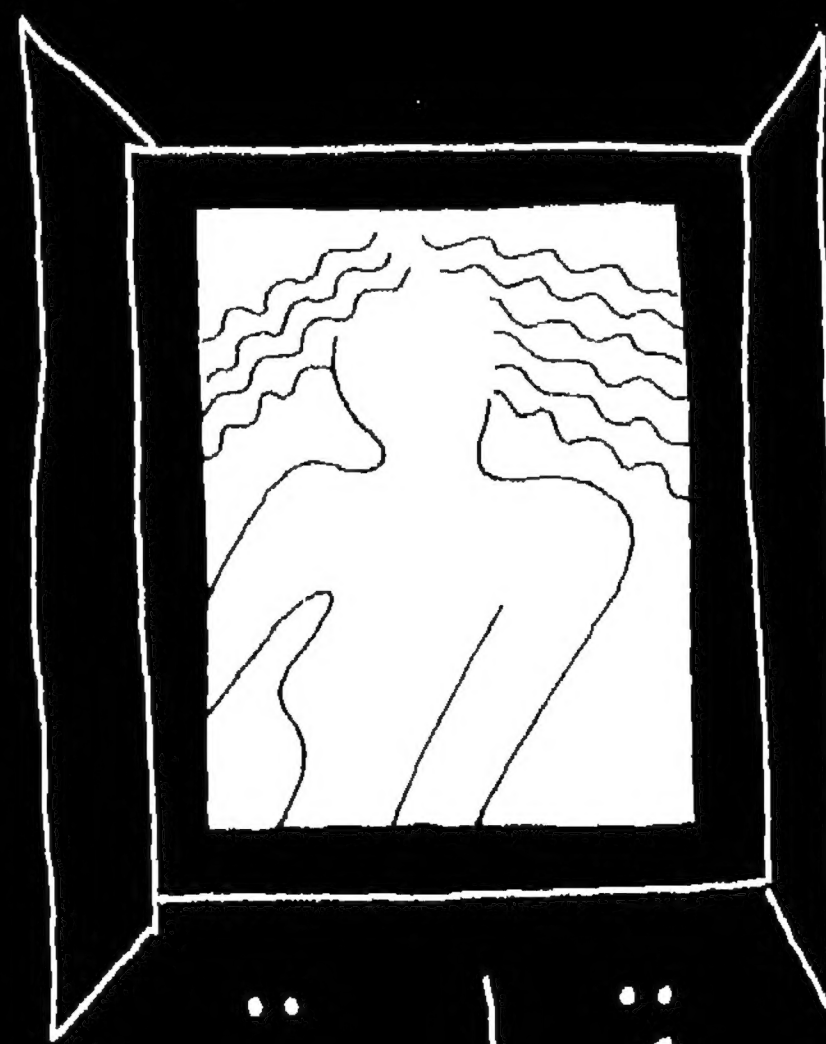
للأطفال :

- | | | |
|------|-----------------------|----------------------------|
| ١٩٨٠ | (٥ حكايات) دار الشروق | - حكايات من ألف ليلة وليلة |
| ١٩٨٨ | مؤسسة الخليج العربي | - عشر مسرحيات شعرية |
| ١٩٨٩ | مؤسسة الخليج العربي | - حكمة الأجداد |

رقم الايداع : ١٧٩١ / ١٩٨٩
التزقيم الدولي . ٨ - ٢٩٩ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة، ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بيروت ص ب ٨١٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣



قراءة
في كتاب السيل

أحمد السويدي